الفصل التاسع

الإعاقات في الأمثال

لقد كان يطلق في الماضي على الشخص المعوق اسم العاجز، ثم شاعت مصطلحات أخرى مثل: المقعدون، والشواذ، وذوى الاحتياجات الخاصة...الخ. وأكثر التسميات حتى الآن هي "المعوقون"، ومن أكثر التعريفات شيوعًا للمعوقين هو تعريف ميثاق الثمانينات لرعاية المعوقين الصادر عن المؤتمر العالمي الرابع عشر للتأهيل بكندا، حيث عرف الإعاقة بأنها تقييد أو تحديد لمقدرة الفرد على القيام بواحدة أو أكثر من الوظائف التي تعتبر من المكونات الأساسية للحياة اليومية، مثل القدرة على الاعتناء بالنفس ومزاولة العلاقات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية، وقد ينشأ العجز نتيجة لخلل جسماني، أو إصابة ذات طبيعة فسيولوجية أو نفسية أو تشريحية.

وتصنف الإعاقات بصفة عامة إلى فئات منها الإعاقات الجسمية أو الفيزيائية، ومن أمثلتها: الصم والبكم، والمكفوفين ...الخ. والفرق بين السوي والمعوق هو فرق نسبي، أي فرق في الدرجة وليس في النوع، فنحن جميعًا معوقين ولكن بدرجات مختلفة ومتفاوتة "**لا تشتميني يا خدوجة أنا عورة وانتي عروجة**"، أو نحن جميعًا أسوياء ولكن بدرجات متفاوتة، حيث لا يوجد شخص سوي على الإطلاق، والكمال المطلق لله وحده.

والمجتمع له دور في استمرار الإعاقة وتفاقمها، فالمعوق منذ لحظة ميلاده وهو يجد نفسه في وسط اجتماعي لا يعينه على تخطي حاجز الإعاقة، أو التوافق مع ذاته أو مع مجتمعه، بل على العكس من ذلك نجد ذخيرة من التراث السلبي، فضلاً عن التسميات والألقاب والصفات ذات الآثار السلبية على معنويات المعوق والتي يمكن أن تجعل منه إنسانًا متجبراً، حتى ينطبق عليه المثل القائل: "**كل ذي عاهة جبار**".

والإعاقات لها أشكال مختلفة مثل: العمى والعرج والصمم و...الخ. وباختلاف الإعاقات اختلفت الأمثال، فمنها من تحدث عن العرج فقال: "**الأعرج بين المكسحين غزال**"، "**على العرج ما في حرج**"، "**أعرج يسحب مكسح يقوله تعالى نتفسح**"، "**لو عرفوا حلاوة هرجته ما عايروني بعرجته**"، وعن الصمم يقول المثل: "**طبل عند اطرش**"، "**الطرش للأكابر والعمى للحرافيش**"، وعن الأبكم يقول: "**أم الأخرس أعرف بلغواه**"، وهناك مثل جامع لعدة إعاقات يقول: "**الإبرة وقعت في البير، الأطرش سمع رنتها، والأعمى شاف وين**

وقعتها، والأخرس سب عيلتها".

وتختلف درجة الإعاقة عند المكفوفين من ضعف البصر بدرجاته إلى العمى التام، وقد بينت الأمثال ذلك عندما قالت: "**نُص العمى ولا العمى كله**"، وفي مثل آخر: "**أعمى قال لأعور كاس العمى مُرّ قال نُص الخبر عندي**". ومن الأمثال السلبية في هذا الباب قول المثل: "**إذا لاقيت الأعمى اكسر عصاه انت مش احن عليه من اللي عماه**"، ومثله في البيئة السعودية "**إن شوفت أعمى دبه وخد غداه من عبه ما نتش أخير عليه من ربه**".

وقد تعددت الأمثال بين الإيجاب والسلب منها: "**جابوا العمية ترد الرمية**"، "**خاطر الأعمى قُفة عيون**"، "**عمية وعرجة وكيعانها خارجة**"، "**العمى يا بدر**"، "**فقد البصر أهون من فقد البصيرة**"، "**قالوا للأعمى زوقّ عصايتك قال يعني من حُبي فيها**"، "**قالوا للأعمى الزيت غِلي قال فاكهة مستغني عنها**"، والمقصود بالزيت هنا هو المادة التي يُضاء بها المصباح، وهو عنده سواء بقي في الظلام أو في النور فالأمر كالفاكهة التي استغنى عنها.

ونحن نرى أن المعوق الحقيقي هو الشخص الذي يعجز بشكل مستمر عن القدرة على الإنجاز وتحقيق الذات وإشباع الحاجات بصورة استقلالية، فلا يستطيع أن يحيا حياة كريمة، بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود قصور في الأعضاء أو الحواس، وها هي "هيلين كيلر" قمة شامخة في هذا المجال، فقد سلبتها الأقدار ثلاث من حواسها، فهي: عمياء صماء بكماء، ومع ذلك فقد حصلت على ثلاث درجات للدكتوراه، وأتقنت خمس لغات إتقانًا تامًا، وقامت بتأليف ثمانية عشر كتابًا من شوامخ المؤلفات العلمية، ولعل من أهمها كتاب: يجب أن نؤمن بالله We must believe in god .

ويجب أن نعلم أن هناك تفاوتًا في الفروق الفردية بين الناس عمومًا والمعوقين خصوصًا، فليس كل أصم بيتهوفن، وليس كل أعمى هوميروس أو أبو العلاء المعري، وليس كل مُقعد أو مشلول روزفلت، وليس كل من تعددت إعاقته هيلن كيلر.

ولنا مثل في عبد الله بن أمّ مكتوم –رضي الله عنه– الذي أنزل الله في حقّه في أوّل سورة (عبس) قرآنًا يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكان الرسول ﷺ كلما رآه يقول: "مرحبًا بمن عاتبني فيه ربّي". تحمل الكثير من المشقة في سبيل إعلان دينه فهاجر مع من

هاجر من مكة إلى المدينة، ورغم إعاقته شارك مشاركة فعلية في الدعوة الإسلامية، فحفظ القرآن وروى أحاديث المصطفى ﷺ، وكان لجمال صوته يؤذن للصلاة مع بلال بن رباح رضي الله عنه.

وهذا عمرو بن الجموح –رضي الله عنه–، من صحابة رسول الله ﷺ عانى في إحدى ساقيه عرجًا شديدًا، ورغم ذلك شهد مع الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية كما شهد معركتي بدر وأُحُد قائلاً: "فو الله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة" وتوجّه نحو القبلة داعيًا ربّه: "اللّهم ارزقني الشهادة في سبيلك ولا تردني إلى أهلي خائبًا" واستشهد معه ولده في معركة أحُد. فمرّ به الرسول ﷺ فقال: "إنّي أراك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنّة".

وينبغي على المعوق أيًا كانت إعاقته أن يُدرب نفسه على مواجهة الواقع، وعلى تقبله تقبلاً إيمانيًا وإيجابيًا حتى يستطيع أن يتخطى حاجز الإعاقة ويتجاوزها إلى التكيف والتوافق الإيجابي العميق مع ربه وخالقه أولاً ثم مع نفسه وإعاقته ثانيًا وأخيراً مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.